سـلام على بغـداد

كبيـر على بغـ ـداد أنّي أعافُهـ ـا ... وأني على أمني لديهـ ـا أخافُهـا
كبير عليها، بعدمـا شاب مفرقـ ـي ... وجفتْ عروقُ القلبِ حتى شغافُهـا
تَتبعثُ للسبعيـ ـن شطآن نهرِهـ ـا ... وأمواجه في الليل كيف ارتجافُهـا
وآخَيتُ فيها النخلَ طَلعـ ـاً، فَمبسراً ... إلى التمر، والأعذاقُ زاه قطافُهـا
تَتبعتُ أولادي وهـ ـم يملأونهـ ـا ... صغـاراً إلى أن شَيبتهم ضفافُهـا!
تتبعتُ أوجـاعي ، ومسرى قصائـد ... وأيـ ـام يغني كل نفسٍ كفافُهـ ـا
وأيـام أهلي يملأ الغيـثُ دارهـ ـم ... حيـاء، ويرويهم حياء جفافُهـ ـا!
فلم أر في بغـ ـداد، مهمـ ـا تلبدتْ ... مواجعهـا، عيناً يهون انذرافُهـ ـا
ولـم أر فيها فضلَ نفسٍ، وإن ذوتْ ... ينازعهـا في الضائقات انحرافُهـا
وكنـ ـّا إذا أخَنَتْ على الناس غُمـةٌ ... نقولُ بعـون الله يأتي انكشافُهـ ـا
ونغفـو، وتغفـو دورنـا مطمئنـّةً ... وسـائدها طُهر، وطهر لحافُهـ ـا
فمـاذا جرى للأرض حتى تبدلـتْ ... بحيث استوتْ وديانُهـا وشعافُهـا
ومـاذا جرى للأرض حتى تلوثـت ... إلى حد في الأرحام ضجتْ نطافُها
وماذا جرى للأرض.. كانت عزيزةً ... فهانتْ عَواليهـا، ودانت طرافُهـا

سلام على بغداد.. شاخَتْ من الأسى ... شناشيلُهـا.. أبلامهـ ـا.. وقفافُهـا
وشاخت شواطيها، وشاخت قبابهـا ... وشـاخت لفرط الهم حتى سلافُهـا
فلا اكتُنفَتْ بالخمر شطآن نهرِهـ ـا ... ولا عـاد في وسع الندامى اكتنافُها!

سلام على بغـ ـداد.. لستُ بعاتبٍ ... عليهـا، وأنى لي وروحي غلافُهـا
فلو نسمةٌ طـافتْ عليها بغيرِ مـا ... تُراح به، أدمى فؤادي طوافُهـ ـا
وهـا أنا في السبعين أُزمع عوقَها ... كبيـر على بغـ ـداد أنّي أعافُهـا!

عبد الرزاق عبد الواحد / دمشق ٢٠٠٥